يوميات نائب فى الارياف

للأستاذ توفيق الحكيم

محاورات أفلاطون

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محفوظ

للأستاذ محمود الخفيف

تفضل الأستاذ الحكيم فأهدى إلىّ كتابه « يوميات نائب فى الأرياف » وكنت قد قرأته فصولا فى مجلة الرواية ؛ بيد أني عدت فتلوته وقد انتظمه مجلد واحد فألفيتنى أكثر استمتاعاً به وأكبر محبة له ولصاحبه

المؤلف الفاضل غنى بشهرته عن التعريف ، عرفه جمهور القراء وأحبوه فى « أهل الكهف » ووثقوا من مواهبه الفنية في تلك القصة الرائعة وفى أختها « شهر زاد » وزادتهم مؤلفاته بعد ذلك معرفة به ، وارتياحاً إلى فنه ، وابتهاجاً بتوفيقه . والحق عندى أن توفيق الحكيم قد صار فى « القصة المصرية » أحد أعلامها الأفذاذ ، بل لقد خطا بها وهى بعد فى طفولتها خطوات سريعة وثيقة حتى لقد غدا في هذه الناحية « كعبد الوهاب » فى الموسيقى وكالمرحوم « مختار » فى فن النحت ، وحق لمصر أن تفخر به كما تفخر بهما . ولست أعنى بالإشارة إلى « القصة المصرية » تبريزه فيها وحدها فلقد كتب له النجاح فى ذلك الفن فى أوسع حدوده ورأيناه موهوباً كما يقول أهل الفن كما رأيناه يجمع إلى موهبته ثقافة من الطراز الأول . والقصصى يخلق أولا وفيه القصة : فى نفسه أسلوبها وروحها ، وفى رأسه الميل الشديد إلى صوغها واعلانها . وقل مثل هذا عن كل ذى فن

والكتاب الذى أحدثك عنه ضرب من القصة إذا تجاوزنا عن أصولها المصطلح عليها فهو كما ترى اسمه « يوميات » . غير أن الأستاذ قد ألبسه ثوب القصة فى مهارة عجيبة تعد فى ذاتها ناحية من نواحى نبوغه فى هذا الفن . فقد جعل من « ريم » ومن حادثة مقتل « قمر الدولة » سلكا ينتظم أجزاءها ويتسلط على القارىء من أول الكتاب إلى آخره ؛ ويمكنك أن تعتبرها نوعاً من القصص « الاصلاحى » على نحو ما كان يجرى عليه دكنز فى فنه وما كان يتوخاه منه ، وهنا نرى من الأستاذ الحكيم مسلكا جديداً فى القصص لم ينزل به عن مستواه في مسلكه السالف فى أهل الكهف وشهر زاد ، تلك الناحية الفلسفية التى حلّق بها فى أفق عال فسيح . أجل رأينا في هذا الكتاب من مستلزمات الفن ومن آياته ما يعجب ويطرب ! رأينا أولاً عنصر التشويق كما يجلى فى خلق حادثة القتل ثم إخفاء القاتل والبحث عنه ، وكما يتجلى فى شكل أدق وأجل من ذلك الوصف الشعرى الجميل الفائق لتلك الفتاة الريفية « ريم » ذلك الوصف الذى عطف عليها القلوب ، وجذب إليها النفوس ، وأكسب القصة مسحة من الجمال السامى كانت تظهر فيه نظرات الأستاذ الفلسفية ؛ ورأينا كذلك فى القصة عنصر الفكاهة ناضجاً حلواً تسيغه الأفئدة وتعلق به ، كما رأينا دقة الوصف وشموله فى غير التواء أو تعقيد ؛ ورأينا خبرة الأستاذ بالوسط الذى يكتب عنه تلك الخبرة المدهشة التى لم يدق عنها معرفة العبارات المحلية التى كان يجريها على ألسنة أشخاصه على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم وفصائلهم . هذا إلى وصف الأشخاص أنفسهم حتى لكأنك تراهم وتستمع إليهم . وها أنذا أحد أبناء الريف أشهد ما وجدت في وصفه شذوذاً ولا لمحت فيه مسحة من خيال . ورأينا فى القصة إلى جانب ذلك كله النقد الصحيح الذى يرضيك ؛ نعم قد يحسب بعض القراء ممن لم يروا مثل هؤلاء الأشخاص الذين وصفهم الأستاذ ، كالقاضى الأهلى والقاضى الشرعى مثلاً أن عنصر

« الكاريكاتير » زائد فى بعض أوصافه ، ولكن الذين رأوا فى الحياة مثل هؤلاء شهدوا له بالصدق ، وأعجبوا بطريقته وطلبوا منها المزيد

فوق هذا كله أو قل بهذا كله تحققت للكتاب ناحية فريدة وهو أنه سجل لعصر من عصورنا ، فيه كثير من ألوان حياتنا فى بيئة من بيئتنا ، سوف تقرأه الأجيال المقبلة وترى فيه من نواحى اللذة ما يحببه إليها ويكسبه بذلك طول الحياة . ولن أفرغ من هذه العجالة دون أن أطلب ملحاً من الأستاذ الحكيم أن يجرى قلمه على هذا النحو فى نواحى حياتنا الأخرى فيرينا يومياته فى بيئة الموظفين مثلاً فى « الدواوين » أو فى غيرها من الجهات فما أحوجنا إلى هذا النوع من القصص يجرى به قلم فنان

***

أنتقل بالقارئ بعد ذلك إلى الكتاب الثانى « محاورات أفلاطون » وقد اضطلع بنقله إلى العربية الأستاذ زكي نجيب محمود ونشرته لجنتنا المباركة الناهضة « لجنة التأليف والترجمة والنشر »

عمل الأستاذ زكى كما ترى عمل المعرب : وقد يحسب البعض أن التعريب أمر هين لا يكلف صاحبه عناء ، ولا يكشف عن مقدرة أدبية ؛ ولكن الذين مارسوا هذا العمل والذين يقدرون الأمور حق قدرها ، يعرفون أنه من أشق الأعمال ومن أقطعها حجة فى معرض التدليل على القدرة والكفاية الثقافية ؛ وحسبك أن تذكر ما بين اللغات من تباين وتفاوت فى الأساليب والتراكيب والاصطلاحات والمجازات وغيرها من ضروب التعبير ، وأن تذكر ما تفتقر إليه اللغة العربية من الألفاظ التى تقابل ما استحدث من الألفاظ العلمية فى اللغات التي تنقل عنها ، لتعلم مقدار الجهد الذى يعانيه المعرب

وفوق ذلك فهناك ماهو أهم من اللغة فى ذاتها ؛ هناك أصول الترجمة الصحيحة وما تتطلب من شروط ، وأهمها فى رأيى الإلمام التام لا باللغتين فحسب ، فذلك قد يتوفر للكثيرين ، ولكن الإلمام التام بالفن الذى يترجم . وعندى أن الذى يتعرض لترجمة فن من الفنون لا يفهمه حق الفهم ، إنما يكون كسالك الصحراء أضلته دروبها أو ذهب بلبه فضاؤها الشاسع وقد جهل سواها ، وتاه عن مبدئها ومنتهاها . أما الذى يترجم عن فهم وخبرة ووثوق من الموضوع فإنه كالربان الماهر عرف وجهته واتخذ إليها سبيله ؛ نعم يكون لفاهم الموضوع من فهمه هذا مايعينه على التعبير الصحيح ، وما يجعل اللغة ذاتها طيعة فى يده مواتية له فلا يتعثر ولا يقف ولا تظهر فى عمله الركة ولا يشوبه الإبهام والتناقض والاضطراب

والأستاذ زكي كما عرفته من قرب وكما عاشرته وصاحبته فيلسوف بطبعه ، لا ترى الفلسفة فيه أثراً من آثار الثقافة فحسب ، بل هى مظهر من مظاهر الطبع قبل هذا . تحدثه فى أى أمر فيفلسفه ، إن صح هذا التعبير ؛ لذلك كان شغفه بالفلسفة ومسائلها نتيجة ميل ذاتى ، وذلك لعمرى سبيل العلم الصحيح . والذين لا يعرفونه إلا فيما كتب يشهدون له بطول الباع فى هذه الناحية . وهل نسينا فصوله الممتعة فى الرسالة ؟ وهل نسينا كتابيه اللذين اشترك فى وضعهما مع الأستاذ العلامة أحمد أمين وهما « قصة الفلسفة اليونانية » و « قصة الفلسفة الحديثة » ؟

إذا عرفت هذا عن زكي ، وعرفت معه أنه متين فى لغته ، ضليع في الانجليزية ، أدركت مقدار نجاحه فى ترجمة هذا الكتاب الذي أحدثك عنه . الحق أنى معجب بهذه الترجمة ، محتكم فيما أقول إلى الذين قرأوا الكتاب فصولاً متتابعة فى الرسالة قبل أن يجمع فى سفر . ذلك أنى أخشى أن يحمل البعض كلامي على المجاملة لما بينى وبين زكي من صداقة . وإذا كانت عين الرضى عن كل عيب كليلة ، فتلك العين من ناحية أخرى ترى من المحاسن مايخفى على غيرها وما يدق على أي عين سواها على أني لو وجدت فى تلك الترجمة عيباً ماترددت فى ذكره بل وفى ابرازه

هذا عن الترجمة ، أما عن الكتاب فى ذاته فهو من تلك الكتب التى يعد نقلها إلى لغة معينة خدمة جليلة لتلك اللغة هذا لأنه من كتب الثقافة العالية التى أحدثت أثراً كبيراً فى النهضات الفكرية للأمم التى ترجمته . وحسبك أن ترى سقراط كما يصوره تلميذه أفلاطون فى ذلك الحوار ، وأن ترى طرفاً من فلسفته فى الأخلاق والحياة الانسانية ، وأن ترى أسلوبه فى التفكير وتلمس أوجه الصواب فيما يطرق من مسائل ، وأن ترى خلقه القويم وتحس عظمة روحه وقوة نفسه ؛ ونقل ذلك الكتاب إلى لغتنا بالذات مكمل لناحية من نواحى النقص من ثقافتنا ولذلك فهو مظهر من مظاهر نهضتنا الفكرية الحديثة

الخفيف

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧ ﴾